قصة قصيرة

الأستاذ ميشو

خيري شلبي

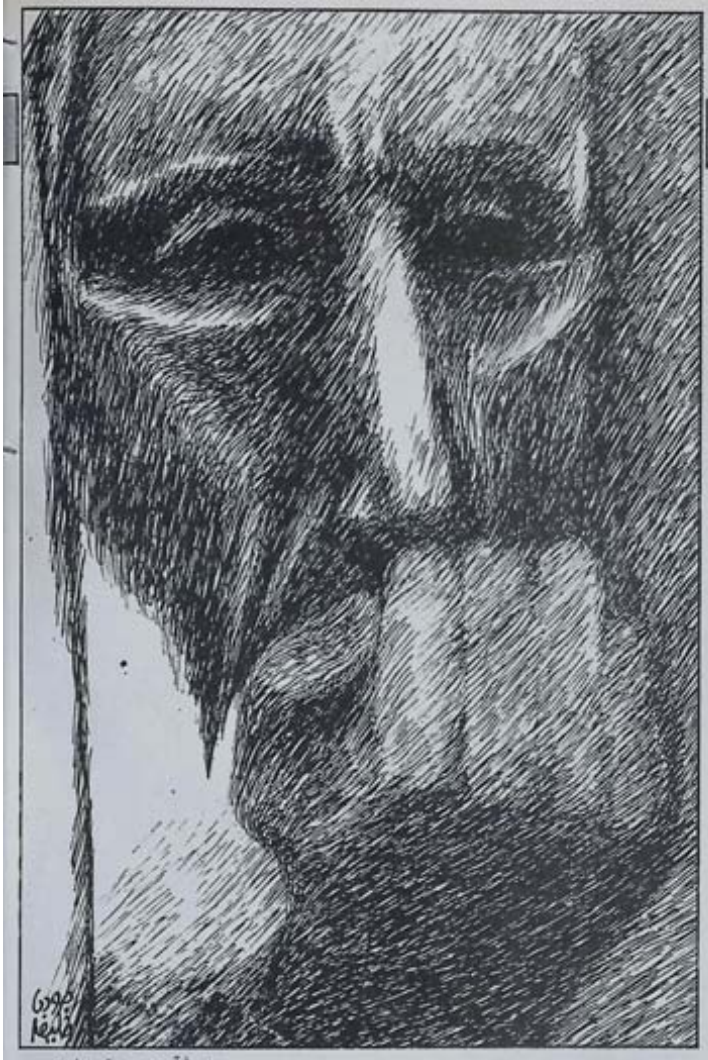

بريشة : جودة خليفة

(أ)

ضرب ماسح الأحذية ظهر الصندوق بظهر القرشاة . وانتظر . ظل الاستاذ « ميشو » مستمرا فى تصفح الجريدة ، منهمكا ، عاقدا ما بين حاجبيه ، ينفضن وجهه المستطيل الشاحب . يمط شفتيه ويفتحهما عن أسنان صفراء لا تليق بأفندى محترم مثله . يشد الأنفاس من السيجارة التى بلا فلتر . يحلق فى سطور ما . يمصمص شفتيه . يشد النفس . بعصبية شديدة يزيح الصفحة ثم يطويها إلى غيرها .

تذكر ماسح الأحذية انه لم يطرع نفسه على الفرجة فلن ينتهى . فضرب الصندوق مرة ثانية أعلى من الأولى . ثم ثالثة أعلى . فاعل . أزاح الأستاذ « ميشو » صفحة الجريدة عن وجهه ونظر إلى ماسح الأحذية فى غضب مكتوم . وظل برهة يسلقه بنظرته النارية .

احمر وجه ماسح الأحذية وارتبك . أشار إلى القدم الطليقة . تمتم .

– عدم المؤاخذة يا سعادة البيه .

لكن الاستاذ « ميشو » لم يعطه القدم الأخرى . بل ظل يسلقه بنفس النظرة . ثم إنه لوى شفتيه فى اشمئزاز وهو يضرب الصندوق بوز الحذاء . على انه كظم غيظه وانزل قدمه عن الصندوق ووضع الأخرى مكانها واستأنف قراءة الجريدة .

اندفع ماسح الأحذية يلمع الحذاء صحا وتقريشا بعد أن تعب تعبا شديدا فى تنظيفه اولا من الأوحال المتكلسة فوقه . وكان يتلفت حواليه محير الأذنين لكأنه المهامة الملوكية البيضاء تتطاير عن دماغه .

(ب)

كان الصبح خطفها قد شب عن الطوق ودخل الضحى المتعجل و « مقهى وبار الميدان » يعج بالزبائن من مختلف الاشكال والالوان والأعمار . .

لوى ماسح الأحذية شفتيه فى قرف . ضرب الصندوق بظهر القرشاة ولكن فى رقة شديدة . ضربة لا تكاد تسمع . ثم انتظر . الاستاذ « ميشو » كان يضع جريدة ويتناول أخرى مطالعا زفرة . قرد هذه الأخرى واشعل سيجارة . رمى بعينيه فوق الصحيفة فى جولة سريعة . نظر إلى ماسح الأحذية فى استنكار .

هز ماسح الأحذية رأسه ناحية القدم الأخرى طالبا إياها . انتظر الاستاذ « ميشو » حتى انتهى من طى الجريدة على الصفحة الثانية . ثم بهدوء شديد انزل قدمه عن الصندوق . وتملل أشد وضع القدم الأخرى وراح يلمع .

كانت أعجب قراءة شاهدها ماسح الأحذية فى حياته . فالأستاذ « ميشو » يقرأ سطرا وربما كلمة ثم ينطلق حواليه منظرسا فى وجوه الحضور كأنما يستكمل القراءة على وجوههم . إلا أن ألطف الذى يرفع به وجهه عن الجريدة يرتد إليها مضعفا .

(جـ)

على الناصية كان صاحب المقهى يجلس مع ولديه . ينظر فى بلاهة إلى الجالسين وتبدو على وجهه السعادة من فرط ما يثيره الجالسون من ضجيج . وكان يتابع حركة ماسح الأحذية بدون تركيز . ولكن ربما لفت نظره أن ماسح الأحذية كان يسرح فى شرود طويل تروح يده وتجىء عشرات المرات . الخاطر برق فى ذهنه فجأة . لهذا السبب تتقطع الثياب دائما من تحت الإبط . وهى ثياب يدفع المقهى ثمنها . لا لشىء إلا من أجل هذه اللافتة المنسوجة على الصدر باسم المقهى . ماذا يفعل هو حتى يحصل منهم على ثمن هذه الثياب . صحيح انهم يقومون بتنظيف المقهى وقضاء حاجاته دون مقابل ولكنهم يحصلون على البقشيشات من الزبائن وما أكثرهم . ثم قرر أن يرجىء التفكير فى هذا الأمر لوقت آخر .

(د)

ضرب ماسح الأحذية ظهر الصندوق بظهر القرشاة . رفع الاستاذ « ميشو » قدمه ووضع الأخرى . واطلق نظراته فى ساحة المقهى وقد تعلقت الجريدة بين يديه . فبدا كأنه يرى المقهى لأول مرة . وبدا أيضا كأنه يصحو لتوه من نوم الليل الطويل .

تأمل ماسح الأحذية عينى « ميشو » فوجدهما حمراوين بارزتين يشع منهما بريق غاضب لافح . كانت نظرة الاستاذ « ميشو » قد وقعت على شابين دخلا من الباب الخلفى إلى الساحة الخارجية . وبعد تلكؤ مريب اتخذا مجلسهما على ترابيزة قريبة من ترابيزة « ميشو » فكاد « ميشو » يترك ترابيزته ويتعدى إلى ترابيزة أخرى . ثم تمتم .

– مقهى نخس . . ملىء بالخرين واللصوص والأدعياء !

وقال ماسح الأحذية :

– نعم ؟

قال « ميشو » بغضب :

– هش

اطلقها مع حركة من يده كأنما يغلق بها فم

ماسح الأحذية الذى ابتلع غصته وقال لنفسه مرحظا . « لبتى ما طاوعت ولد عمى . . إنه ملىء بالخائنين » . وضرب ظهر الصندوق بظهر القرشاة . بسرعة أنزل « ميشو » قدمه ووضع الأخرى .

قال ماسح الأحذية :

– خلاص يا بيه .

قال « ميشو » وهو ينظر فى الحذاء باسترابة .

– طيب . . خلاص خلاص .

جمع ماسح الأحذية أشياءه وحمل صندوقه ووقف ينتظرا . نظر إليه « ميشو » بغضب وهتف مشوحا :

– مفيش فكة .. بعدين بعدين .. يالا غور بق .

انصرف ماسح الأحذية وهو يوقف رعشة شفته السفلى بأسنانه .

(هـ)

كاد صاحب المقهى يقول .. « فيه ايه » لولا أن ماسح الأحذية انصرف فى هدوء و « ميشو » عاد إلى صحيفته كأن شيئا لم يكن . تمتم صاحب المقهى : « لا ينقصنا وجع الدماغ » .

قال ابنه الأكبر :

– ماذا فعل الولد بالاستاذ ؟

قال صاحب المقهى :

– كلامها ناقص عقل !

صاح الابن الأصغر باسما :

– كيف ؟

قال صاحب المقهى :

– لوح من « اللطرانة » بمسح الأحذية .. فمن أين له بالعقل ؟ !

قال الابن الأكبر .

– والاستاذ ميشو ؟

شرح صاحب المقهى فى قرف :

– كاتب « مرسحى » .. رجل لبادو (ويرسم أصابعه حول رأسه) فمن أين له بالعقل هو الآخر ؟ !

قال الابن الأكبر .

– أنا لم أر له أية مسرحية .

قال الأصغر .

– أنا رأيته مرة فى التليفزيون .

قال صاحب المقهى :

– أنا لم أره فى أية داهية .

ثم أضاف مشوحا بعد برهة .

– داهية تلمهم جميعا .

ومسح المقهى بنظرات قلقة ..

كان المقهى يشغى كمش الزنابير .. مجموعات تتكلم وتتعارك وتتضاحك وتغنى وتسكر وتتهامس فى نفس الآن . باستثناء قلة من الزبائن ليس هناك أحد غير معروف لديه . لكل منهم عنده تاريخ حى لا يمحى من الذاكرة . فعمر المقهى يجاوز نصف قرن . وكان هو شابا صغيرا من أصل أرمنى حين تنازل له صاحب المقهى الأصلى عنه . وكان فى ذلك الزمن محدد بار يؤمه التجار والأجانب والسماسرة والقوادون وبضاعتهم .. فلما أصبح هو صاحبه وسع دائرة الرواد وأضاف إلى البار مقهى واسعا ملأه بالكراسى الخيزران . وقد تعلم من أولاد العرب أن الرزق يحب الخفة والدلاقة والحركة .. فإن رأى أحد الكتاب المشهورين يجلس ذات يوم على مقهاه حتى بالغ فى الترحيب به وأعلن أن كل ما يتناوله « الاستاذ » من مشروب طوال حياته هذا يقيد على حساب صاحب المقهى . تقديرا منه لأهل القلم وأصحاب الرأى الحر الشريف إلخ إلخ . مع أنه لم يكن قد قرأ لهذا الكاتب أى حرف . ثم صار المقهى يستقبل كل يوم أعدادا هائلة من أهل القلم ثم تبعهم أهل الفن . ثم جاء أهل السياسة . وشيئا فشيئا أصبح المقهى أشبه بـ « حلة التورتى » يضم مجاميع مختلفة متنافضة من سياسيين قدامى بعضهم كان ناجحا والبعض الآخر لم يكن . ومن أدباء وصحفيين لا معين وآخرين محبطين . وناشئين وبائسين . وحزبيين وعقائديين وسيع صعاليك وعشاق سذج وأبناء ريف متطلعين .

أبدا لم يكن هذا ما يحلم به صاحب المقهى . لو علم أن الأمور ستصل إلى هذا الحد من الفوضى لما توسع هذا التوسع الذى لا يأتى عصاريته . فكل هؤلاء يجلسون بالساعات نظير مشروب واحد بمليم . يطلبون معه خدمة وبتامرون . وكل مجموعة تعادى الأخرى عداء سافرا حادا بلا سبب مفهوم نصف الرواد بهم النصف الآخر بأنه عميل للمباحث . وكل يوم والتانى ترتفع الأصوات والكراسى . وتشج الرءوس ويقلب المقهى إلى حارة يسكنها الفتوات . صدق أحد قدماء الساسة المتقاعدين على المقهى بأن الحياة قد فسدت إلى الأبد وأن ما يحدث هو نتيجة طبيعية لما سبق حدوثه . حيث لم يعد الأدب ولا السياسة ولا الفن ولا الرياضة أنشطة يقوم بها أولاد الناس من علية القوم . إنما دخلها الدهماء الذين لا يعرفون لهم رأسا من قدم ..

ولقد تعود صاحب المقهى ألا يقيم هذه المعارك وزنا فهو يعرف أنها كلها تنبعث من منطلق شخصى . وأن الأطراف المتعاركة – شأنها شأن أى عراك مصرى – سرعان ما تعود إلى وضعها السابق بل إنها قد تتصافى وتتصادق وينضح أنها أقرب وبلدبات كل ذلك فى خطة واحدة . ما يضيره بالفعل حقا هو الخسائر التى كانت تصيبه من جراء مثل هذه المعارك الحرقاء . لكنه كان يجد لذة خفية وغامضة فى ترك الكراسى والترابيزات عرجاء ومقلقلة وفى حاجة إلى إصلاح كثير . ومن يعجبه الجلوس عليها فأهلا وسهلا . ومن لا يعجبه فليرنا عرض أكتافه . فلم يره أحدهم هذا الأمل . فراح يتمادى فى تقليص الخدمة حتى لم تبق سوى خطوة واحدة بعدها يقوم الزبون ليحضر شابه بنفسه من الداخل وان أحضره من بيته يكون أفضل . لم يعد يفرق بين مناضل قديم له تاريخ . وبين مدع فسل من مدعى هذه الأيام . مع ذلك لم يكف عن عادته القديمة كلما تصادف وجود أحدهم أمام أولاده إذ يندفع قائلا إن فلانا بك من أعظم الشخصيات المصرية . وإن علانا أفندى له تاريخ مجيد . فاقتدوا به يا أولاد . وإن سعادة الباشا فعل بالاستعمار كذا وكيت . أما الاستاذ فلان فلعلكم تعرفون أنه أثار قضية كذا وكذا فى صحافتنا أيام أن كانت صحافة . لعله بمرور الزمن واتصال العشرة أدرك أن المسألة كلها كلام فى كلام . وأن الدنيا تنقلب من حولهم رأسا على عقب وهم بكل هدوء وبرود يقارعون الحجة بالحجة ويطلبون مكعبات الثلج باستمرار مع أن الثلج فى داخلهم جبال فوق جبال . لهذا كان يندفع فجأة مبرطما لدى أى انفعال . والله لأبيعها لإحدى الشركات وأقطع دابركم من وسط البلد » .. وكان ابنه الأكبر – الميال للبيع – يشوح فى وجهه صائحا : « جاءتك المائة باكوفلم توافق » فيحس الرجل بالخجل ويمسح المقهى بنظرات حانية .

واليوم كان يبدو عليه الهدوء ولذا كان مستعدا لمحاورة ولديه بمختلف الأساليب الملفوفة والمباشرة حتى يقنعهم بضرورة الرجوع عن البيع والأبقاء على المقهى باعتباره الوحيد فى المنطقة . مع تغيير طابعه ورفع تكاليفه إلى مستويات تليق بأصحاب المكسب وتبعد عنهم هؤلاء المشكلمين الذين يقطعون النهار والليل بالمحان . وكانت تحايل الحوار تلمع فى عينيه حين شد انتباهه ذلك الصباح المفاجىء ..

(و)

يقول الاستاذ « ميشو » :

– ساعة عشان انتظر سعادتك .. قلت لك شوية وارجع .. فيها ايه ..

ويقول ماسح الأحذية .

– لا مؤاخذة يا بيه .. فيه ايه ؟

– مش أنت اللى ماسح الخرمة ؟

– أنا ؟ ! .. أنا من غير مؤاخذة ما شفتكش خالص يا بيه !

– باقول لك إنت اللى مسحتها

– والله والله العظيم يا بيه ما مسحتها

دقق صاحب المقهى فى ماسح الأحذية . فلم يتيقن مما إذا كان هو الذى مسح أم غيره ؟ ! ذلك أن الذين يمسحون الأحذية فى مقهاه قد وصل عددهم مؤخرا إلى عشرة رجال . كلهم متشابهون يلبسون الخلب الأزرق والعمامة المملوكية وعلى صدورهم لافتة باسم المقهى . لكنه قال مبتسما .

– خلاص يا استاذ ميشو .. مادام قال مش انا يبقى مش هو

– طيب .. مع السلامة

وشوح بيده فى غيظ ولكن عينه حفلت بنظرة وعيد صارمة . الأمر الذى شد انتباه معظم الجماعات المتناثرة حواليه . كما شد انتباه صاحب المقهى فظل على جلسته كأنه يعلن انتماءه للموقف حتى ينتهى على خير ..

ما كاد ماسح الأحذية ينصرف حتى ظهر ماسح أحذية آخر قادم من الخارج . انتبه إليه « ميشو » فسحبه نحوه بإشارة أصبع حاسمة . فجاء الولد مرتعبا وهو ينظر فى نفسه وفى الأرض .

– خير يا سعادة البيه ؟

وكانت الفكة موجودة فى كف « ميشو » استعدادا لدفعها إليه إذا قال نعم انا الذى مسحتها . لكن ماسح الأحذية نظر فى الحذاء فوجده لامعا جدا . فوقف حائرا .

– خير يا سعادة البيه ؟

استشاط « ميشو » غضبا . رمى بالفكة على الترابيزة .

– مش انت اللى ماسح الخرمة دى ؟

– أنا ؟ .. على الطلاق بالثلاثة ما شفتها !

هكذا نطق ماسح الأحذية كأنه يدافع عن نفسه ضد جريمة واضحة وضوح الشمس .

فلم الجميع وإن ضحكوا فى نفس واحد مما أثار جرح الثين . الاستاذ « ميشو » وصاحب المقهى الذى اعتدل احتراما وقال فى هدوء .

– فيه ايه بالضبط يا أستاذ ميشو ؟ .. عايز اللى مسح الخرمة ليه ؟

تبسم الاستاذ « ميشو » بأسف .

– عايز أديله حسابه .

– بسيطة .. زمانه جاى .... وإذا كنت مستعجل سيب لنا الفلوس أو مانسيبش واحنا ندفعها له ..

لسبب مالايدريه ، ميشو ، بالضبط اغاظ كأن لعابنا لدغه فقال :

– لاتدفع فى ولاأدفع لك .. متشكر قوى .

وأشاح بوجهه عن صاحب المقهى فى احتقار . راحت الابتسامة الخجل تتراقص على شفتى صاحب المقهى .. وهنا ارتفع صياح الأستاذ « ميشو » دفعة واحدة :

– تعال يا جدع انت .

كان ماسح الأحذية قد أتى ، فاقترب من « ميشو » وهو يرتجف :

– نعم ياسعادة البيه ؟

– نعمة ترفصك .. باشتغل عندك انا ؟ .. بتقشش على ؟

هذا الولد أكثر السابقين جرأة وأخشنهم صوتا :

– ابه فيه إيه .. بتزعق ليه ؟

– مش انت اللى ماسح الجزمة دى ؟

– ولامسحت لك ولاشفتك . انت حزمى بلاك على ؟ !

– طب امش يا قليل الأدب يا سافل .

– باقول لك ايه .. اوعى تزيد عن حدك .

– عيب ياولد .. ادخل جوه باللا .

هكذا صاح صاحب المقهى كما يصيح الإنسان فى كلبه ، فانسحب ماسح الأحذية وغاب فى المقهى . و .. اعتدلت كل الجماعات فصوبت وجوهها نحو الأستاذ « ميشو » وقد بدا عليها تحفز شرير .

أحس « ميشو » بالعيون تتطاير عليه وتكاد تثقب صدره لتنزل إلى داخله . تذرع بصلابة فرعونية ، صمم على ألا يعيرهم جميعا أدنى التفات ، وأن يثبت لهم أنه ليس محتوما ، وأن هناك فى هؤلاء الأوغاد من مسح حذاءه ، وأنه لايقصد سوى تهنئة الولد الماسح وإعطائه حسابه مع درس فى الأخلاق يمنعه من هذا السلوك مع الناس المحترمين مرة أخرى .. ها هوذا يرفع ذراعه بهدوء هذه المرة صائحا برقة :

– من فضلك .. من فضلك .

فأقبل ماسح الأحذية العجوز نحوه يبتسم ويهيأ للجلوس والمسح . وماكاد يصل إلى « ميشو » حتى وضع الصندوق وجلس وأخرج الفرشاة وتناول قدم الأستاذ ميشو . فارتفعت عاصفة من الضحك زلزلت الأرض ، لكن الأستاذ « ميشو » لم يتزلزل ، إنما سحب قدمه من يد ماسح الأحذية العجوز برفق قائلا مع محاولة ابتسامة :

– قال يعنى مش أنت اللى ماسحها من دقايق ؟ !

اختفت الابتسامة الأزلية عن وجه الرجل . بكل جد صاح :

– أنا يا بيه ؟ .. أستغفر الله .. استغفر الله ! .

وراح ينظر إلى الحذاء فى تشكك واضح . ويلوى شفتيه ، ويلم أشياءه بسرعة ويبتعد .

– لاحول ولاقوة إلا بالله .. ياجايين يكفيكم شر القاعدين .

ارتفعت عاصفة الضحك من جديد أعلى مما كانت ، مصحوبة بحركات دبدبة بالأقدام فى الأرض وخبط للجباه بالأكف . انتعش المقهى فجأة انتعاشة لم يشهدها من عشرات السنين . راح العمال وجاءوا بالأكواب والكئوس والأطباق فى زأططة وبشاشة ، تصبب العرق من جبين « ميشو » حتى خيل لمن يراه أنه سوف يذوب بعد دقائق ..

لكنه بصلابة وقوة وقف هذه المرة قبدا طويلا كعمود من الدخان . وصاح مثل أولاد الليل الفرنسيين فى أفلام الفتوات :

– تعالى هنا يا ولد . انت فين من زمان ؟

اقترب منه ماسح الأحذية ينعر فى خوف وفى وجل كحيوان أليف مدجوش . وقف أمام « ميشو » صامتا وصدره يعلو ويهبط كأنه يشوى حر بارب . امسكه « ميشو » من أذنه اقترحها بعنف فصاح الولد متألما ودمعت عيناه . قال ميشو بحزم :

– اعترف يا كلب !

فبكى الولد غير شاعر بالأم . ونظر حوالبه مرتجفا . فرأى الجميع للدهشة يضحكون ويغمزون له بشفاههم غمزات طمأنته . فقال ماسح الأحذية :

– فيه حاجة ياسيد ؟

– اتفضل انشى . ميشو انتفخ بعظمة

– يا ولد .. على الكلام ده !

– واقف مثل مانا فى ما أعرف حاجة

– يعنى انت ماسحتش الجزمة دى

– انى ياعينى فى نظرى ماشيفك . دانا كنت جاى فى طريقى ولقيت الجزمة حسة ولاسة . حبر بارب . حبر بارب

لأول مرة يأخذ صاحب المقهى ويدب إلى نفسه الشك فى هذه المسألة من أساسها . فأبدا لايمكن أن تكون المسألة مجرد زحمة . ميشو لن فى دفع الحساب . لابد أن فى الأمر شيئا آخر لايريد أن يفصح

بعض رمضى فدخل المقهى . أصدر أوامره جميع كل الأولاد الذين يلبسون نياب المقهى ويعملون فى مسح أحذيتهم . ثم عاد فأمر كل من تحت إمرته بالدخول . ثم جلس ينظر فى الجميع الذى بدأ يكر ويفر بين روسها ويعلو فيها حبر حذوه مريف مخمى وراءه ذوى العواصف . أى إلا برهة حتى جاء ماسح الأحذية العجوز وخلفه طابور مكون من ثمانية رجال كلهم يلبسون نياب المقهى ويحملون على صدورهم لافتات . فاقترب من صاحب المقهى أشار فهو فارتصوا جوار بعضهم . تنحنح واحدة عدهم صاحب المقهى وصاح

– ناقصين واحد .

هز العجوز رأسه :

– أيوه .. الجدع المستجد .. كان هنا وجاى .

صاح وقد « تزين » :

– مفيش جاى !

– ابعت أربعة رجالة يجيبوه من تحت الأرض !

وكانت الضحكات قد استأنفت الدوى حين راح « ميشو » يرقب وجوه ماسحى الأحذية عاقدا مابين حاجبيه فى اهتمام عظيم . بل إنه وقف واقترب منهم وأخذ يتفرس فى وجوههم واحدا بعد واحد . ثم صفق كفا على كف واتجه إلى ترابيزته يكاد ينفجر من الغيظ والحيرة . تهالك جالسا . لم يكن صاحب المقهى أقل منه غيظا او حيرة . صاح فى عصبية قائلة :

– لقيته فيهم يا سعادة البيه ؟

مط ميشو شفتيه فى أسف وغموض . ولم ينطق فصرخ صاحب المقهى

– دانوا الولد المستجد حالا

ثم نفخ وظهر عليه التوتر العظيم . ثم غير القدوم برشة وجهه كأنما دون القدوم الذين يقولون انه سيقى العاصفة . وكانت أول عاصفة . جعل صياح صاحب المقهى يتصاعد من أعماق الشارع الخالى . رجل يبكى ، طفل يصوت ، وصبى يتلفظ بألفاظ غامضة . مالبث الصياح أن تركى ان اقترب اكثر فاكثر ثم انقطعت بغتة لأنه فرغها للأنة رجل يحمل كرتونة ماسح الأحذية وكل قسوة وكآب يتصبح تاركة من أعماق أعماقه

– وكتاب الله ماسحتش له . وكتاب الله مالمسته . اتفضل على المصحف اتحلق هاه حلف على النهارى . دانا جبل لو جبال وجبلين . لهى جبل . لهى

وانجمت الضحكات تماما وبعث بعض الدموع فى بعض العيون حتى فى ميشو نفسه بعث فيه الدموع بل تساقطت على جبده بصوت مسموع بالكاد

– مش انت يا ابن الـ مسحت فى الجزمة فعلى .

– وكتاب الله ما لمسته ! .. اهين

– ياعنى دانا ؟

وسحب نفسا عميقا ولوح به :

– هاهو ذا بيك حسابك . خد .. خده كله .

ورماه له فى عدم اهتمام .

تلقى الولد ماله وهو يدنيه ليكيلا يلمسه فسقط نصفه على الأرض . فانجعد الولد عنه صائحا

– فلوس دعوة . آخد فلوس عشان حاجة ماعملتهاش ؟

– ياعنى بأمارة ما ..

– وكتاب الله ماشفتك . أنابى وبيك

– ابه . حملت فيك ايه ؟

– عطفه على المصحف .

هكذا صاح صاحب المقهى وهو يمتد فى عنف مصطحبا صغيرا كأنه السلمى

– احلف ؟ !

بحلق فيه صاحب المقهى وصفق كفا على كف وراح يتلفت حواليه :

– بقى المسألة فيها سر ! .. لا أنت مسحت له .. ولا انت مسحت له .. ولابنت مسحت له .. أعمال مين اللى مسح له ؟ .. ياناس .. يا هوه يالل قاعدين كلكم .. فيه حد فيكم شاف الأستاذ ميشو وهو يمسح جزمته ؟ .. أنا شخصيا شفته .. بعيى شفته ..

– ارتفعت بعض الأصوات :

– وانا كمان .

– وأنا كمان .

– وانا كمان !

– طب حد شاف مين اللى كان يمسح له ؟

فلم ينطق أحد .

– يبقى لازم عفريت !

هكذا قال صاحب المقهى .

فرد أحد الباشوات القدامى :

– نعم .. وعفريت من الدهماء لابد !

فاندفعت الضحكات ، لكن الموقف لم يفقد توتره . وقف « ميشو » رافعا يده صائحا :

– خلاص انا تأكدت انه هو .. هو ده اللى مسح فى الجزمة .. عرفته .

ثم أمسك الولد الأحير من خناقه وهزه بعنف ودفعه فانكفأ على الأرض :

– بس مش قادر أفهم عمل كده ليه .. أنكر ليه ؟ .. يبقى لازم فيه سر .. يبقى مؤامرة .. أنا مش غبى .. أنا فاهم كويس قوى شغل التآمر العصرى يبقى شكله ايه .. وبناء عليه الجزمة دى هى أرض المؤامرة .. فيها حاجة تستدعى الإنكار وبهذا الإصرار العنيف .. إذن الجزمة دى لاتلزمنى .. اهه .

وخلع فردة رماها فى اتجاه صاحب المقهى وطابوره .. فاندفعت عاصفة من الرجال متشبقرة مدمرة فى طريقها اكوابا وترابيزات .

وخلع « ميشو » الفردة الثانية ورماها فى اتجاه الجوامع الأخرى . فكأنما كانوا على أهبة ، اندفعت عشرات الأجساد متشبقرة ، فوقع ناس ودبس فوقهم بالأقدام وارتفع الصراخ الوحشى الخائف المتجنن . انزووا جميعهم فى ركنين بعيدين مثل كتاكيت فاجأها لعبان حراق .

أما « ميشو » – لدهشة الجميع – فقد اندفع بهرول – حافيا – فى اتجاه الشارع العمومى صائحا : تاكسى .. تاكسى .. ثم اختفى فى الزحام .

(ز)

كأنما انهارت عمارة كبيرة إلى كومتين . كل منهما تقع فى ركن قصى ويبنهما مساحة تخلو بترابيزات مائلة وكراسى منقلبة وهشيم أكواب .. وحذاء . بعد برهة رفع صاحب المقهى وجهه فلم يجد أحدا على الإطلاق سواه ، فجرجر ساقيه حتى دخل المقهى .. وأمسك بسماعة التليفون .

تمت